الدرس السابع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ؛ صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ وأصْحَابِهِ أجْمَعين.

قال شيخ الإسلام الإمام الأوّاب محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى :

فَإِنْ قَالَ: النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُعْطِيَ الشَّفَاعَةَ وَأَنَا أَطْلُبُهُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ؛ فَالْجَوابُ: أَنَّ اللهَ أَعْطَاهُ الشَّفَاعَةَ وَنَهَاكَ عَنْ هَذَا، فقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[الجن:١٨] ، **فَإِذَا كُنْتَ تَدْعُو اللهَ أَنْ يُشفِّعَ نبيّه فِيْكَ فَأَطِعْهُ فِي قَوْلِهِ:** ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾. **وَأَيْضاً فَإِنَّ الشَّفَاعَةَ أُعْطِيها غَيْرُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَصَحَّ أَنَّ المَلائِكَةَ يَشْفَعُونَ، وَالأَفْرَاطَ يَشْفَعُونَ، وَالأَوْلياءَ يَشْفَعُونَ، أَتَقُولُ: إِنَّ اللهَ أَعْطاهُمُ الشَّفَاعَةَ فَأَطْلُبُها مِنْهُمْ؟ فَإِنْ قُلْتَ هَذا رَجَعْتَ إِلى عِبَادةِ الصَّالِحِينَ الَّتِي ذَكَرها اللهُ في كِتابِهِ. وَإِنْ قُلْتَ: لاَ، بَطَلَ قَوْلُكَ: أَعْطاهُ اللهُ الشَّفَاعَةَ وَأَنَا أَطْلُبُهُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ.**

****

هنا ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى شبهة أخرى من الشبه التي يتعلق بها من يدعو غير الله ويستغيث بغير الله ويلتجئ إلى غير الله، وذكر رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى هذه الشبهة بعد شبهة أخرى قبل هذه الشبهة تتعلق بالباب نفسه «باب الشفاعة»؛ حيث ذكر قول هؤلاء عن الموحِّد، قولهم: «أَتُنْكِرُ الشَّفَاعَة وَتَتبرّأُ مِنْها؟»، وأجاب رَحِمَهُ اللهُ عن ذلك بأن أهل الإيمان والتوحيد ليسوا منكرين للشفاعة؛ بل هم مؤمنون بها، وأن شفاعة النبي عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام حق، وشفاعة الملائكة حق، وشفاعة الصالحين حق، كل ذلك يؤمنون به؛ لكن دلت دلائل الكتاب والسنة على أمور بيّنها رَحِمَهُ اللهُ هي تُعد ركائز في باب الشفاعة لا بد من ضبطها:

- الأولى: أن الشفاعة ملك لله.
- والثانية: أنها لا تكون إلا بإذن الله.
- والثالثة: لا تكون إلا برضا الله عن المشفوع عنه.
- والرابعة: أنه جلِ وعلا لا يرضى إلا عن أهل التوحيد ، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[آل عمران:٨٥].

لما ذكر ذلك، ذكر لهم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى شبهة أخرى؛ قال: «**فَإِنْ قَالَ: النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُعْطِيَ الشَّفَاعَةَ وَأَنَا أَطْلُبُهُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ**»؛ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُعطي الشفاعة ، وهذا حق كما قال عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام في الحديث الصحيح ((أُعطيتُ الشفاعة)) ، ومعنى أُعطيْت الشفاعة: أي أعطاني الله الشفاعة ، لأن الشفاعة

ملك لله ولا سبيل لأحدٍ أن يشفع عند الله إلا إذا أذن له المالك سُبْحَانهُ وَتَعَالى. قال: ((أُعطيْتُ الشفاعة)) أي أعطاني الله الشفاعة، ويوم القيامة يقول الله له : ((ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع))، فهو عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام أعطي الشفاعة وهو الشافع المشفع صلوات الله وسلامه عليه .

قال: «**وَأَنَا أَطْلُبُهُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ**» يعني هذا شيء أعطاه الله سُبْحَانهُ وَتَعَالى لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا أطلبه مما أعطاه الله، «أطلبه» أي أطلب النبي عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام . والطلب هنا طلب أن يكون النبي عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام شفيع له يوم القيامة هذا عبادة والتجاء ، والالتجاء لا يكون إلا لله ، والشفاعة ملكه سُبْحَانهُ وَتَعَالى؛ فقوله «أَطْلُبُهُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ» أي أطلب النبي عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام، وهذا الطلب منه عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام والتوجه إليه والالتجاء إليه في هذا الباب هذه عبادة هي حقٌ لله سُبْحَانهُ وَتَعَالى. قال: (وَأَنَا أَطْلُبُهُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ) فبم يُجاب؟

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى: «**فالجواب : أَنَّ اللهَ أَعْطَاهُ الشَّفَاعَةَ وَنَهَاكَ عَنْ هَذَا**» ؛ أعطاه الشفاعة، قال عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام ((أُعطيْتُ الشفاعة)) ، ونهاك عن هذا : أي عما عبَّرت عنه بقولك «أَطْلُبُهُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ» نهاك عن هذا في آيٍ كثيرة، نهى فيها سُبْحَانهُ وَتَعَالى عن دعاء غير الله وسؤال غير الله والالتجاء إلى غير الله، نهى عن ذلك، ومن شفع له النبي عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام يوم القيامة فاز فوزاً عظيماً ونجا من عذاب الله وفاز بدخول الجنان، فاز فوزاً عظيماً، والفوز العظيم بيد من؟ الفوز العظيم والنجاة من النار ودخول الجنة كل ذلكم بيد الله، فلا يُطلب إلا من الله سُبْحَانهُ وَتَعَالى. فقوله «وَأَنَا أَطْلُبُهُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ» هذا باطل ومناقضة للتوحيد، مناقضةٌ للإخلاص الذي أُمِر أن يكون عليه العبد ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[الجن:١٨] ،﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ ﴾[الإسراء:٥٦]، ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ﴾[الأحقاف:٥] والآيات في هذا الباب كثيرة؛ فقوله (وَأَنَا أَطْلُبُهُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ) فهذا مخالفة ومناقضة للتوحيد.

قال: «**وَنَهَاكَ عَنْ هَذَا**» أي عن هذا التوجه والطلب والالتجاء إلى غير الله سُبْحَانهُ وَتَعَالى .

«**فقال: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً﴾**» و«أحدا» جاءت نكرة في سياق النهي فأفادت العموم ؛ ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً﴾ أي أيَّ أحد كان، لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً ولا ولياً من الأولياء، لا تدعو مع الله أحداً؛ بل ليكن دعاؤك وتوجهك والتجاؤك إلى الله سُبْحَانهُ وَتَعَالى. وإذا كنت تريد شفاعته عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام وترجو أن تكون ممن يشفع لهم عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام فتفوز فوزاً عظيماً فاطلبها من الله المالك ، قل مخلصًا موحدًا ملتجئاً إلى الله: "اللهم شفّع فيّ نبيك" ، أو "اللهم اجعل نبيك شفيعاً لي" ، أو "اجعلني ممن يشفع لهم نبيك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" ، أو نحو هذه العبارات التي يكون فيها الالتجاء إلى الله سُبْحَانهُ وَتَعَالى. ولا تُنال شفاعة النبي عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام إلا بالإخلاص، كما في حديث أبي هريرة في صحيح مسلم «قلت يا رسول الله من أسعد الناس

بشفاعتك يوم القيامة؟» قال ((من قال لا إلا الله خالصاً من قلبه)) ، وقول هذا القائل «وَأَنَا أَطْلُبُهُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ» هذا مناقضة للإخلاص الذي تُنال به الشفاعة.

قال: «**فَإِذَا كُنْتَ تَدْعُو اللهَ أَنْ يُشفِّعَ نبيَّهُ فِيْكَ فَأَطِعْهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً﴾**» ؛ إِذَا كُنْتَ تَدْعُو اللهَ لعل المراد –كما قال الشيخ محمد بن ابراهيم رَحِمَهُ اللهُ– لعل المراد "إذا كنت ترجو الله أن يشفِّع نبيه فيك"، ترجوه أو تطمع أن يكون عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام شفيعاً فيك أي يوم القيامة فأطِعه في قوله ﴿فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً﴾، الذي أعطى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشفاعة هو الذي قال لك في القرآن ﴿فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً﴾ ، فإذا كنت تريد أن يكون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شفيعاً لك يوم القيامة فلا تدعو مع الله أحداً؛ لأن الله نهاك عن ذلك وحرمه عليك وتوعد فاعله بأشد الوعيد وأشد العقاب ، فلا تدعو مع الله أحداً؛ بل أخلص الدعاء لله.

وفي هذا الباب «باب الشفاعة» أخلص أيضاً الدعاء لله، قل "اللهم" لا تقل "يا نبي الله" ولا تقل "يا ملائكة الله" ولا تقل "يا أولياء الله" ولا تقل "يا ولي فلان" أو "يا شيخ فلان"؛ وإنما قل: "يا الله"، "اللهم"، "يا رب اجعلني ممن يشفع لهم نبيك وملائكتك" أو نحو ذلك، ولا تتوجه لغير الله سُبْحَانهُ وَتَعَالى بسؤال أو طلب لأن هذا مخالفة صريحة لما نهاك الله عنه بقوله: ﴿فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً﴾.

هذا جواب من الشيخ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى على هذه الشبهة، وهو كافٍ في كشفها. ثم زاد رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى جواباً آخر؛ قال: «**وَأَيْضاً**» أي أيضاً في الجواب على هذه الشبهة نفسها يقال :

«**فَإِنَّ الشَّفَاعَةَ أُعْطِيها غَيْرُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**» أي دلت الدلائل في الكتاب والسنة على أن غير النبي عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام أُعطي الشفاعة، مثل الملائكة ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾[النجم:٢٦]، وأيضاً الأفراط يشفعون، وفَرَط الإنسان: من يموت من ولده صغيراً فيسبقه إلى الدار الآخرة؛ يشفع لوالديه، الأفراط يشفعون.

قال: «**فَصَحَّ أَنَّ المَلائِكَةَ يَشْفَعُونَ، وَالأَفْرَاطَ يَشْفَعُونَ، وَالأَوْلياءَ يَشْفَعُونَ**»؛ من كان مؤمناً تقياً من أولياء الله سُبْحَانهُ وَتَعَالى فإنه يشفع يوم القيامة.

قال: «**فَصَحَّ أَنَّ المَلائِكَةَ يَشْفَعُونَ، وَالأَفْرَاطَ يَشْفَعُونَ، وَالأَوْلياءَ يَشْفَعُونَ، أَتَقُولُ: إِنَّ اللهَ أَعْطاهُمُ الشَّفَاعَةَ فَأَطْلُبُها مِنْهُمْ؟**» إذا قلت له هذه الكلمة هو بين أمرين:

- إما أن يقول: "لا، لا أطلبها منهم" ؛ مع أنهم أُعطوا الشفاعة لا أطلبها منهم؛ بل أطلبها من الله، فحينئذ ناقض نفسه وظهر فساد مذهبه من خلال كلامه وتناقضه.
- وإما أن يقول: "بل أطلبها منهم" أي من الملائكة ومن الأفراط ومن الأولياء؛ ويكون بهذا دخل في الشرك من أوسع أبوابه ، والعياذ بالله.

قال: «**فَإِنْ قُلْتَ هَذا رَجَعْتَ إِلى عِبَادةِ الصَّالِحِينَ الَّتِي ذَكَرها اللهُ في كِتابِهِ**» يعني إن قلت أنا أطلبها منهم ؛ أي أطلبها من الملائكة وأطلبها من الأولياء وأطلبها من الأفراط؛ ألتجئ إلى هؤلاء كلهم في طلبها، رجعت إلى عبادة الصالحين وشرك الأولين شبراً شبراً، ذراعاً ذراعاً «**التي ذكرها الله تَبَارَكَ وَتَعالى في كتابه**» أي في مثل قوله ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾[يونس:١٨] يعبدون من دون الله: أي يلتجئون إلى غير الله ممن لا يملك لهم ضراً ولا نفعاً ، فالولي ومن فوقه ومن دونه لا يملك لأحد ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً ، ولا جنةً ولا ناراً ، ولا سعادة ولا شقاءً ،لا يملك ذلك، ذلك كله ملك الله جل وعلا؛ فمن طلبها من الأولياء ومن الملائكة طلبها ممن لا يملك ذلك ، وجعل من لا يملك ذلك شريكاً للمالك، فرجع إلى عبادة الصالحين التي كان عليها المشركون الأُوَل.

قال: «**فَإِنْ قُلْتَ هَذا**» أي إن قلت أنا أطلبها منهم «**رَجَعْتَ إِلى عِبَادةِ الصَّالِحِينَ الَّتِي ذَكَرها اللهُ في كِتابِهِ ، وَإِنْ قُلْتَ: لاَ، بَطَلَ قَوْلُكَ: أَعْطاهُ اللهُ الشَّفَاعَةَ وَأَنَا أَطْلُبُهُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ**».

وأيضاً مما يجاب به على هذه الشبهة والأجوبة كثيرة ؛ قول النبي عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام لفاطمة بنته : ((يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئتِ، فإني لا أغني عنك من الله شيئاً)) .

ويجاب عنها أيضاً بقول النبي عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام للرجل الذي قال: «يا رسول الله أسألك مرافقتك في الجنة»، قال: ((أعني على نفسك بكثرة السجود)) أي السجود لله، انتبه قال ((أعني على نفسك بكثرة السجود)) أي لله، إذا كنت تريد مرافقتي في الجنة أكثر من السجود لله، فعندما يسجد لله يطلب من؟ عندما يضع جبهته لله ساجداً وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فالذي يريد مرافقة النبي عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام في الجنة عليه أن يكثر من السجود لله عز وجل، أي تسجد له متذللاً له خاضعاً داعياً طالباً منه سُبْحَانهُ وَتَعَالى؛ أرشده عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام إلى الطريق. ولما قال له أبو هريرة رضي الله عنه: «من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟» قال : ((من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه)).

كذلك أيضاً الحديث الذي في صحيح مسلم ، وهو من حديث أبو هريرة، قال عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام: ((لكل نبي دعوة مستجابة ، وإني ادخرت دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة، وإنها نائلة إن شاء الله من لا يشرك بالله شيئاً)) ؛ «إن شاء الله» أي بإذنه، وقوله «من لا يشرك بالله شيئاً» خرج بذلك من يدعو غير الله من الأنبياء والأولياء والصالحين من الظفر بالشفاعة والفوز بها.

قال رحمه الله تعالى :

فَإِنْ قَالَ :أَنَا لا أُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً حاشَا وَكلاَّ، وَلَكِنَّ الالْتِجَاءَ إِلى الصَّالِحِينَ لَيْسَ بِشِرْكٍ. فَقُلْ لَهُ :إِذَا كُنْتَ تُقِرُّ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ الشِّرْكَ أَعْظَمَ مِن تَحْرِيمِ الزِّنا، وَتُقِرُّ أَنَّ اللهَ لا يَغْفِرُهُ؛ فَمَا هذا الَّذِي حَرَّمَه اللهُ وَذَكَرَ أَنَّهُ لا يَغْفِرُهُ؟

فَإِنَّهُ لا يَدْرِي. فَقُلْ لَهُ :كَيْفَ تُبَرِّئُ نَفْسَكَ مِنَ الشِّرْكِ وَأَنْتَ لا تَعْرِفُهُ؟ كَيْفَ يُحَرِّمُ اللهُ عَلَيْكَ هَذَا وَيَذْكُرُ أَنَّهُ لا يَغْفِرُهُ، وَلاَ تَسْأَلُ عَنْهُ ولا تَعْرِفُهُ؟! أَتَظُنُّ أَنَّ اللهَ يُحَرِّمُهُ وَلا يُبَيِّنُهُ لَنَا؟

****

ثم ذكر الله تعالى هذه الشبهة لهؤلاء ؛ «**فَإِنْ قَالَ :أَنَا لا أُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً**» يعني نفى عن نفسه الوقوع في الشرك كله، «لا أُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً» هذه نكرة تفيد العموم في قوله «شَيْئاً»؛ فإذا نفى عن نفسه الشرك «قَالَ :أَنَا لا أُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً» أبرأُ من الشرك ومن أن أكون من أهل الشرك أو أكون من المشركين

«**لا أُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً حاشَا وَكلاَّ**» حاشا أن أكون من أهل الشرك وكلا، أي لست منهم ولا على طريقتهم.

«**وَلَكِنَّ الالْتِجَاءَ إِلى الصَّالِحِينَ لَيْسَ بِشِرْكٍ**» لا أعُدّ هذا شركاً، أنا لا أشرك ، وأرى أن الشرك محرم حرمه الله وأن الله يعاقب عليه يوم القيامة أشد العقوبة، أُقر بذلك وأنا لست من أهل الشرك لَكِنَّ الالْتِجَاءَ إِلى الصَّالِحِينَ لَيْسَ بِشِرْكٍ؛ الالتجاء أي اللجوء إليهم طلباً وتذللاً وطمعاً ورجاءً ورغبة، يلجأ إليهم في نوائبه وفي حاجاته؛ بل بلغ الحال ببعض هؤلاء في باب الالتجاء أنه عند الشدائد والكربات –وقد كان المشركون الأول في مثل هذه الحال لا يلجؤون إلا إلى الله– بلغ الحال ببعض هؤلاء أنه حتى في حال الشدائد والكربات لا يلجأ إلا إلى غير الله ، ممن تعوَّد الالتجاء إليهم في رخائه وسرّائه ، فصار الحال عنده سواء في الشدة والرخاء والسراء والضراء، لا يلجأ إلا إلى غير الله، وبعضهم يلجأ إلى الله ويلجأ أيضاً إلى غير الله.

فإن قال : «**وَلَكِنَّ الالْتِجَاءَ إِلى الصَّالِحِينَ لَيْسَ بِشِرْكٍ**»؛ الآن أخرج هو من الشرك ما هو داخل فيه وما هو نوع من أنواعه فكيف تعالج هذه المشكلة؟ يقول لك : الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك؟ سواء قال لك الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك ، أو قال لك الدعاء ليس بشرك ، أو قال لك الذبح ليس بشرك ، أو أخرج لك نوع من أنواع الشرك من الشرك، فكيف تكون المعالجة لذلك؟

قال رَحِمَهُ اللهُ : «**فَقُلْ لَهُ :إِذَا كُنْتَ تُقِرُّ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ الشِّرْكَ أَعْظَمَ مِن تَحْرِيمِ الزِّنا وَتُقِرُّ أَنَّ اللهَ لا يَغْفِرُهُ**» ؛ حرّم الشرك أعظم من تحريم الزنا لأنه أشد المحرمات، ولهذا في القرآن والسنة في باب النواهي يُقدَّم الأشد تحريماً على ما دونه في الحرمة كما في قوله سُبْحَانهُ وَتَعَالى: ﴿ لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَّخْذُولاً﴾[الإسراء:٢٢] ثم بعدها بآيات قال: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى﴾[الإسراء:٣٢] ، كما في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان:٦٨]؛ ففي باب النواهي في القرآن يُقدّم الأشد والأخطر، وهكذا في السنة ((اجتنبوا السبع الموبقات)) بدأ بالشرك ثم ذكر بقية المحرمات ومنها رمي المحصنات . أيضاً في باب الأوامر يُبدأ بالأمر بالتوحيد، فالتوحيد أعظم شيء أمر الله به والشرك أعظم شيء نهى الله تَبَارَكَ وَتَعالى عنه ، فهو أشد حرمة من الزنا ومن القتل ومن عموم المحرمات ولهذا قال الله سُبْحَانهُ وَتَعَالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان:١٣]

وقال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ أي لا أحد أضل ﴿مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾[الأحقاف ٥: ٦] ، وهذا أمر ربما بعض العوام أو الجهال لا يدركه أو لا يستشعره، ولهذا يُذكر أن أحد أهل العلم أراد أن يمتحن فَهْم الناس للتوحيد ومكانته، فذكر لهم حال رجل اعتدى على بيت وانتهك عرض امرأة في البيت، تقحّم البيت وانتهك عرض امرأة في البيت ومارس معها الفاحشة ووصف لهم هذه الحال فضجّ من حوله مستنكرين ، في يوم آخر ذكر لهم حال رجل بنى بيتاً وأراد أن يسكنه فقيل له: لكي تُحفظ وتوقى في بيتك اذبح لك شاة أو دجاجة ولا تسمي، لا تذكر اسم الله عليها أو شيئاً من هذا القبيل من أعمال أهل الشرك في التقرب إلى غير الله، فما رأى عليهم استنكاراً؛ فبعض الناس ربما يجهل ذلك وربما بعضهم لا يستشعر ذلك، يعني يتغيّظ لرؤية فاحشة الزنا وتغيظه في محله؛ ولكن لا يتغيّظ لحصول الشرك الذي هو أعظم العدوان وأظلم الظلم وأكبر الإجرام.

قال: «**وَتُقِرُّ أَنَّ اللهَ لا يَغْفِرُهُ**» أي كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[النساء:٤٨] أي من مات على ذلك، أي من مات مشركاً فلا مطمع له في مغفرة الله، كما قال جل وعلا في آية أخرى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾[فاطر:٣٦] .

يقول له الشيخ: «**قل له : إِذَا كُنْتَ تُقِرُّ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ الشِّرْكَ أَعْظَمَ مِن تَحْرِيمِ الزِّنا، وَتُقِرُّ أَنَّ اللهَ لا يَغْفِرُهُ فَمَا هذا الَّذِي حرَّمَهُ اللهُ؟**» ما هو الشرك الذي حرمه الله؟ عرّفه لي، بيّن لي حقيقته ؟

«**فَمَا هذا الَّذِي حَرّمه اللهُ وَذَكَرَ أَنَّهُ لا يَغْفِرُهُ؟ فَإِنَّهُ لا يَدْرِي**» لماذا قال الشيخ رحمه الله (فَإِنَّهُ لا يَدْرِي) قبل أن يُسمَع الجواب؟ لأن قوله المسبق: "أنا لا أشرك بالله، والالتجاء لغير الله ليس بشرك" هذا يدل دلالة واضحة أنه لا يدري ما هو الشرك، ولهذا قال رَحِمَهُ اللهُ: «فإنه لا يدري» ؛ لأنه لو كان يدري ويعرف حقيقة الشرك لما قال تلك المقالة ، ولهذا إذا قلت له عرّف لي الشرك؟ سترى أنه إما لا يجيب بشيء، يعني سيقول لك هذه العبارة بلفظها "لا أدري" أو "لا أعرف"، أو يجيب بأجوبة خاطئة من جنس جوابه الأول .

قال: (فَإِنَّهُ لا يَدْرِي) ستكتشف أنه لا يعرف الجواب، قال (فَإِنَّهُ لا يَدْرِي) أي لا يدري ما هو الشرك. وقد قيل قديما "كيف يتقي من لا يدري ما يتقي" الذي لا يدري ما هو الشرك كيف يتقيه؟ ولهذا قوله السابق هو فرعٌ عن عدم معرفته بالشرك وبحقيقة الشرك ، قال «فَإِنَّهُ لا يَدْرِي».

قال: «**فَقُلْ لَهُ :كَيْفَ تُبَرِّئُ نَفْسَكَ مِنَ الشِّرْكِ وَأَنْتَ لا تَعْرِفُهُ؟**» لاحظ أنك من أجل أن تقول له هذه الكلمة (كَيْفَ تُبَرِّئُ نَفْسَكَ مِنَ الشِّرْكِ وَأَنْتَ لا تَعْرِفُهُ؟) ربما قبلها تمر ببعض المحاورات معه، حسب حال الرجل؛

لأنه إما أنه سيقول لك "لا أدري" مباشرة أو "لا أعرف" ، أو أنه سيبدأ يخوض في تعريفات خاطئة للشرك، فماذا ستصنع؟ في كل مرة يُعرّف الشرك تُبين له الخطأ وتستدل له، في بيانك الخطأ تستدل مبيناً خطأه بالدليل ، إلى أن يصل إلى حال لا يستطيع أن يُعرّف الشرك؛ فحينئذ تقول له هذه الكلمة: «كَيْفَ تُبَرِّئُ نَفْسَكَ مِنَ الشِّرْكِ وَأَنْتَ لا تَعْرِفُهُ؟»، كَيْفَ تُبَرِّئُ نَفْسَكَ مِنَ الشِّرْكِ الذي حرّمه الله وأخبر أنه لا يغفره وأنت لا تعرفه في ضوء الدلائل من الكتاب والسنة، وعندما تتكلم في تعريفه تتكلم بفكر قاصر وفهم سيء ضعيف ليس قائماً على دلائل كتاب الله وسنة نبيه عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام، (فكَيْفَ تُبَرِّئُ نَفْسَكَ مِنَ الشِّرْكِ وَأَنْتَ لا تَعْرِفُهُ).

«**كَيْفَ يُحَرِّمُ اللهُ عَلَيْكَ هَذَا، وَيَذْكُرُ أَنَّهُ لا يَغْفِرُهُ، وَلاَ تَسْأَلُ عَنْهُ ولا تَعْرِفُهُ؟**» هذه مشكلة أهل الضلال؛ حرّم الله عليهم الشرك، فقاموا وأتوا بالعبادة ولم يسألوا ولم يعرفوا، ولهذا ترى كثير من هؤلاء إذا سمع آيات الشرك ينفر منها ويرى نفسه ليس من أهلها ، ليس من أهل هذه الخصال؛ لكن لما كان لا يعرف الشرك وحقيقته وقع فيه ، ولهذا قال عمر رضي الله عنه: «إنما تُنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية»، وأعظم الجاهلية الشرك بالله سُبْحَانهُ وَتَعَالى، لهذا من لا يعرف الشرك يقع فيه، لهذا قيل:

تعلم الشر لا للشر ولكن لتوقيه فإن من لم يعرف الشر من الناس يقع فيه

فلابد من معرفة الشرك من أجل أن يُحْذر ويُتقى، والله يقول: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام:٥٥] ؛ إذا استبانت سبيل المجرمين كان الناس منها على حذر، أما إذا لم تستبن ربما وقع بعض الناس في سبيلهم من حيث لا يشعر ومن حيث لا يدري.

قال: «**وَلاَ تَسْأَل عَنْهُ ولا تَعْرِفُهُ**»، قل مثل هذا أيضاً في حال كثير من الناس في المحرمات الأخرى، حرّم الله عز وجل الربا ، وباع كثير من الناس واشترى ولم يسأل ولم يعرف الربا ، وحرم الله عز وجل أكل مال اليتيم فأكل ولم يسأل، وحرم أموراً عديدة فتعامل بها ولم يسأل.

قال: «**كَيْفَ يُحَرِّمُ اللهُ عَلَيْكَ هَذَا وَيَذْكُرُ أَنَّهُ لا يَغْفِرُهُ، وَلاَ تَسْأَلُ عَنْهُ ولا تَعْرِفُهُ؟ أَتَظُنُّ أَنَّ اللهَ يُحَرِّمُهُ وَلا يُبَيِّنُهُ لَنَا؟**» هذا الكلام عظيم جداً؛ «أَتَظُنُّ أَنَّ اللهَ يُحَرِّمُهُ وَلا يُبَيِّنُهُ لَنَا!!» أي يترك أمر بيانه لعقول الناس والآراء والأفهام، يتركه دون بيان؟ حاشا وكلا، فالله عز وجل أمرنا بالتوحيد وبيّنه ، ونهانا عن الشرك وبيّنه، بيَّنه في كتابه في آيٍ كثيرة من القرآن، اقرأ في بيان الشرك قول الله سُبْحَانهُ وَتَعَالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[الجن: ١٨] هذا بيان للشرك، لا تدعو مع الله أحدا لأن دعاء غير الله شرك، أيضاً اقرأ ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾[الأحقاف:٥-٦]، واقرأ أيضاً قول الله سُبْحَانهُ وَتَعَالى ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ

عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧]، دعاء غير الله هذا شرك. قال عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام: ((من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار)) دعاء غير الله هذا شرك بالله سُبْحَانهُ وَتَعَالى، أيضاً اقرأ قوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام:١٦٢ -١٦٣] ؛ فمن جعل شيئاً من ذلك لغير الله اتخذه شريكاً مع الله. والشرك: هو تسوية غير الله بالله في شيء من خصائصه أو حقوقه سُبْحَانهُ وَتَعَالى، والعبادة حق لله وهي: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. فمن سوّى غير الله بالله في هذا الحق -أعني العبادة- فقد اتخذه شريكاً مع الله؛ من دعا غير الله أو التجأ إلى غير الله أو استعاذ بغير الله أو توكل على غير الله أو نذر لغير الله أو ذبح لغير الله فقد أشرك بالله واتخذ الأنداد والشركاء مع الله سُبْحَانهُ وَتَعَالى.

قال: «**أَتَظُنُّ أَنَّ اللهَ يُحَرِّمُهُ وَلا يُبَيِّنُهُ لَنَا؟**» أيضا هذه الكلمة تحتها من التوجيه والبيان : أن بيان الشرك ومعرفة حده يُرجع فيه إلى الكتاب والسنة ، كذلك بيان التوحيد وبيان المحرمات يُرجع فيها لمعرفة حدودها إلى كتاب الله وسنة نبيه عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام؛ فإن الله سُبْحَانهُ وَتَعَالى لا يحرّم علينا أمراً ويتركه دون أن يبينه.

نعم الإمام مالك استدل أيضاً لمثل هذا المعنى بحديث سلمان الفارسي، لما قال له نفر من المشركين أو اليهود قالوا له: إن نبيكم علّمكم كل شيء حتى الخراءة، قالوا ذلك على وجه التهكم والسخرية، قال: «أجل -هذه مفخرة الإسلام- علَّمنا كل شيء؛ قال: لا يستقبل أحدكم القبلة ببول ولا غائط ، ولا يستنجي بعظم ولا رجيع ، ولا يمسن ذكره بيمينه» ؛ فمالك بن أنس رَحِمَهُ اللهُ انتزع من هذا الحديث استدلالاً عظيم جداً، قال: «محالٌ أن يكون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علّم أمته كل شيء حتى الخراءة ولم يعلمهم التوحيد» محال هذا، التوحيد أعظم شيء في الدين، فمحالٌ أن يكون علّم الأمة كل شيء الآداب والأخلاق والتعاملات ودقائق الأمور بيّنها مفصلة صلوات الله وسلامه عليه ثم يترك التوحيد الذي هو أعظم شيء في الدين دون بيان!! هذا محال، فالتوحيد بُيِّن في الكتاب والسنة أتم بيان ، وأيضاً الشرك بُيِّن وعُرفت حقيقته في الكتاب والسنة أتم بيان، ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال:٤٢] .

قال رحمه الله تعالى :

فَإِنْ قَالَ :الشِّرْكُ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ، وَنَحْنُ لا نَعْبُدُ الأَصْنَامَ. فَقُلْ لَهُ :ما مَعْنَى عِبَادَة الأَصْنَامِ؟ أَتَظُنُّ أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ تِلْكَ الأَخْشَابَ والأَحْجَارَ تَخْلُقُ وَتَرْزُقُ وَتُدَبِّرُ أَمْرَ مَنْ دَعَاها؟ فَهَذَا يُكَذِّبُهُ القُرْآنُ. وإِنْ قالَ: هو من قَصَدَ خَشَبةً أَوْ حَجَراً أَوْ بَنِيَّةً على قَبْرٍ أَوْ غَيْرِهِ، يَدْعُونَ ذَلِكَ وَيَذْبَحُونَ لَهُ يَقُولُونَ: إِنَّهُ يُقَرِّبُنا إِلى اللهِ زُلْفَى، وَيَدْفَعُ عَنَّا اللهُ بِبَرَكَتِهِ أو يُعْطِينا بِبَرَكَتِهِ. فَقُلْ :صَدَقْتَ، وَهَذا هُوَ فِعْلُكُمْ عِنْدَ الأَحْجَارِ والأبنية الَّذِي

عَلى القُبُورِ وَغَيْرِها، فَهَذا أَقَرَّ أَنَّ فِعْلَهُم هَذَا هُوَ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ، فهو المطْلُوبُ. ويُقال له أَيْضاً: قَوْلُكَ : الشِّرْكُ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ، هَلْ مُرَادُكَ أَنَّ الشِّرْكَ مخصُوصٌ بِهَذا؟ وَأَنَّ الاعْتِمَادَ عَلى الصَّالِحِينَ وَدُعَاءَهُمْ لا يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ؟ فَهَذا يَرُدُّهُ ما ذَكَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ كُفْرِ مَنْ تَعَلَّقَ على الملائِكَةِ أَوْ عِيسَى أَوِ الصَّالِحِينَ. فَلابُدَّ أَنْ يُقِرَّ لَكَ أَنَّ مَنْ أَشْرَكَ فِي عِبَادَةِ اللهِ أَحَداً مِن الصَّالِحِينَ فهذا هُوَ الشِّرْكُ المَذْكُورُ فِي القُرْآنِ، وَهَذَا هُوَ المَطْلُوبُ. وَسِرُّ المَسْأَلَةِ: أَنَّهُ إِذا قالَ :أَنَا لا أُشْرِكُ بِاللهِ. فَقُلْ لَهُ: وَمَا الشِّرْكُ بِاللهِ؟ فَسِّرْهُ لِي. فَإِنْ قالَ :هُوَ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ. فَقُلْ :ومَا معنى عِبَادَةُ الأَصْنَامِ؟ فَسِّرْهَا لِي. فإِنْ قَال :أَنا لا أَعْبُدُ إِلاَّ اللهَ وحده . فَقُلْ :ما مَعْنَى عِبَادَةِ اللهِ وحده ؟ فَسِّرْهَا لِي . فَإِنْ فَسَّرَها بِمَا بَيَّنه القرآن فَهُوَ المَطْلُوبُ. وَإِنْ لَمْ يَعْرِفْهُ فَكَيْفَ يَدَّعِي شَيْئاً وَهُوَ لاَ يَعْرِفُهُ؟ وَإِنْ فَسَّرَه بِغَيْرِ مَعْنَاهَ بَيَّنْتَ لَهُ الآيَاتِ الوَاضِحَاتِ فِي مَعْنَى الشِّرك بِاللهِ وَعِبادَةِ الأَوْثانِ؛ أَنَّهُ الَّذِي يَفْعَلُونَه فِي هذا الزَّمَانِ بِعَيْنِهِ، وَأَنَّ عِبَادَةَ اللهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ هِيَ الَّتِي يُنْكِرُونَ عَلَيْنَا وَيصِيحُونَ فيه كَمَا صَاحَ إِخْوَانُهُم حَيْثُ قَالوا: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[ص:٥] .

****

ثم ذكر رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى هذه الشبهة الأخرى لهؤلاء، قال: «**فَإِنْ قَالَ :الشِّرْكُ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ، وَنَحْنُ لا نَعْبُدُ الأَصْنَامَ**» ذكرت، والشيخ يعدِّد هذه الشبهات لهم قد سمعها أو سمع كثيراً منها من هؤلاء وناقشهم فيها وأقام عليهم رَحِمَهُ اللهُ الحجة، ذكرتُ حال الغريق، يُقال الغريق يتمسك بكل شيء حتى بالقشة، يتمسك بما لا متمسَّك به ويتعلق بما لا مُتعلَّق به، وإنما محاولة للنجاة من الغرق أو التخلص من الأمر الذي هو فيه؛ وهذه حال هؤلاء، يتخبطون في باب الاحتجاج ويتمسكون بأشياء واضح تماماً أنها ليست بمُتمسّك. واقرأ في هذا المعنى قول الله سُبْحَانهُ وَتَعَالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ﴾[العنكبوت:٤١] ، وهذا بيانٌ لحال المشرك ومن اتخذه نداً مع الله؛ فمثَل المشرك مثل العنكبوت، ومثل من اتخذه نداً مع الله تبارك وَتَعَالى كمثل بيت العنكبوت، وبيت العنكبوت -كما لا يخفى- لا يقي حراً ولا برداً ولا يقِي من عدو ولا يقِي من مطر، وهو بيت واهي، متهالك ضعيف، أوهى البيوت؛ فمثل الذي يتعلق بغير الله التجاءً ورجاءً وطمعاً مثل العنكبوت اتخذت بيتاً. ثم إن من حكمة الله سُبْحَانهُ وَتَعَالى أن العنكبوت وبيتها موجودة في كل مكان، حتى الأماكن التي تُقصد ليُعبَد أهلها أو تُعبد من دون الله فيها بيت العنكبوت وتوجد العنكبوت، ولهذا أقول لو أنه هؤلاء الذين يذهبون إلى تلك الأماكن يلتفتون إلى الأركان والزوايا يرون العنكبوت التي تصف حالهم وحال من تعلقوا به ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾.

فالمشرك المتعلق بغير الله تَبَارَكَ وَتَعالى يتخبط ويتعلق بكل شيء في تقرير باطله، صاحب الحق إذا أراد أن يستدل تجده يحسب للاستدلال ألف حساب وينتبه ويراعي، إذا أراد أن يذكر حديثاً يتأكد، أما الذي يتعلق بغير الله، ما عنده مشكلة تسمع منه ولا يبالي، تسمع منه أن يقول لك: النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "القبور ترياق المجربين" أو يقول لك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال "من تعلق بحجر نفعه"، وقالوا ذلك! لهذا ابن القيم لما بيّن أن هذا الحديث موضوع ومكذوب عن النبي عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام؛ قال وضعه أحد عُبّاد الأوثان، ولهذا لا يبال هؤلاء بأن يضعوا حديثاً أو يستدلوا بموضوع مكذوب عن رسول الله أو يلفقوا مناماً أو خبراً أو قصة أو تجربة أو غير ذلك من الأشياء التي يوردونها مستدلين بها في تقرير هذا الباطل.

قال: «**فَإِنْ قَالَ :الشِّرْكُ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ، وَنَحْنُ لا نَعْبُدُ الأَصْنَامَ. فَقُلْ لَهُ: ما مَعْنَى عِبَادَةِ الأَصْنَامِ؟ أَتَظُنُّ أَنَّهُمْ** –أي الذين كانوا يعبدون الأصنام– **يَعْتَقِدُونَ أَنَّ تِلْكَ الأَخْشَابَ والأحجارَ تَخْلُقُ وَتَرْزُقُ وَتُدَبِّرُ أَمْرَ مَنْ دَعَاها؟**») هل تعتقد ذلك؟ «**فَهَذَا يُكَذِّبُهُ القُرْآن**» يعني القرآن دلَّ في مواضع عديدة وذكر بعضها الشيخ رَحِمَهُ اللهُ فيما سبق أن المشركين لم يكونوا يعتقدون في الأصنام ذلك، ما كانوا يعتقدون أنها تخلق أو ترزق أو تحيي أو تميت ؛ بل يقولون الخالق الرازق المنعم المتصرف هو الله سُبْحَانهُ وَتَعَالى، قل له «فَهَذَا يُكَذِّبُهُ القُرْآن».

«**وَإِنْ قالَ**» في بيان حقيقة عبادة الأصنام «**هو من قصد خَشَبَةً، أَوْ حَجَراً، أَوْ بُنْيَةً على قَبْرٍ أَوْ غَيْرِهِ، يَدْعُونَ ذَلِكَ وَيَذْبَحُونَ لَهُ ويَقُولُونَ: إِنَّهُ يُقَرِّبُنا إِلى اللهِ زُلْفَى، وَيَدْفَعُ اللهُ عَنَّا بِبَرَكَتِهِ ويُعْطِينا بِبَرَكَتِهِ**» إن قال لك ذلك، وهذا هو فعلاً الذي كان يفعله المشركون الأول، كانوا يقصدون الخشبة أو الحجر أو البناء الذي على القبر أو غيره، يدعون ذلك ويعكفون عنده ويذبحون له ويقولون إنه يقربنا إلى الله زلفى ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[الزمر:٣] .

«**وَيَدْفَعُ اللهُ عَنَّا بِبَرَكَتِهِ أو يُعْطِينا بِبَرَكَتِهِ**» إن قال لك ذلك «**فَقُلْ له :صَدَقْتَ**» هذا عمل المشركين الذي أنكره الله عليهم في القرآن وذمهم عليه أشد الذم وتوعّدهم عليه أشد الوعيد.

«فَقُلْ :**صَدَقْتَ، وَهَذا هُوَ فِعْلُكُمْ عِنْدَ الأَحْجَارِ والأبنية الَّتِي عَلى القُبُورِ وَغَيْرِها، فَهَذا أَقَرَّ أَنَّ فِعْلَهُم هَذَا هُوَ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ، وهو المطْلُوب**» إذا أجاب بهذا الجواب فإنه يكون بذلك أقر أن فعلهم –أي عند القبور– هو فعل عُبَّاد الأصنام عند الأصنام ، وهو المطلوب.

قال ويقال له أيضاً: «قَوْلُكَ :**الشِّرْكُ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ**» هذا جواب آخر غير الجواب الأول، «**إذا قال: الشِّرْكُ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ، قل: هَلْ مُرَادُكَ أَنَّ الشِّرْكَ مخصُوصٌ بِهَذا**» أي لا يكون شركاً إلا إذا كان توجهاً لصنم؟ لا يكون شركاً إذا توجه إلى مَلَك، إلى كوكب، إلى نبي، إلى ولي، هذا لا يكون من الشرك؟ يعني الشرك محصور في عبادة الأصنام؟ هَلْ مُرَادُكَ أَنَّ الشِّرْكَ مخصُوصٌ بِهَذا؛ أي لا يتجاوزه ولا يتعداه؟

«**وَأَنَّ الاعْتِمَادَ عَلى الصَّالِحِينَ وَدُعَاءَهُمْ لا يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ؟ فَهَذا يَرُدُّهُ ما ذَكَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ كُفْرِ مَنْ تَعَلَّقَ على الملائِكَةِ أَوْ عِيسَى أَوِ الصَّالِحِينَ**»، وسبق أن ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللهُ الآيات الدالة في ذلك.

«**فَلابُدَّ أَنْ يُقِرَّ لَكَ أَنَّ مَنْ أَشْرَكَ فِي عِبَادَةِ اللهِ أَحَداً مِن الصَّالِحِينَ فهذا هُوَ الشِّرْكُ المَذْكُورُ فِي القُرْآنِ، وَهَذَا هُوَ المَطْلُوبُ**» ؛ ولاحظ أن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في كشفه للشبهات –وهذا نبهت عليه وسأؤكد عليه– في كشفه للشبهات، مرتبط كلياً بالقرآن والسنة، ودائماً يكشف الشبه بالآيات وبالقرآن، بكلام الله.

قال : «**فَلابُدَّ أَنْ يُقِرَّ لَكَ أَنَّ مَنْ أَشْرَكَ فِي عِبَادَةِ اللهِ أَحَداً مِن الصَّالِحِينَ فهذا هُوَ الشِّرْكُ المَذْكُورُ فِي القُرْآنِ، وَهَذَا هُوَ المَطْلُوبُ**» أي أنه يتبين أن من عبد صنماً أو عبَد ولياً أو عبد ملَكاً أو عبد نبياً كل ذلك شركٌ بالله ؛ وهذا فيه بيانٌ لبطلان قوله «الشِّرْكُ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ». وبهذا يكون الشيخ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى كشف هذه الشبهة وبيّن بطلانها من وجهين.

ثم قال ملخصاً ما سبق: «وَسِرُّ المِسْأَلَةِ» أي: حاصل الأجوبة المتقدمة وخلاصتها

«**أَنَّهُ إِذا قالَ :أَنَا لا أُشْرِكُ بِاللهِ. فَقُلْ لَهُ:وَمَا الشِّرْكُ بِاللهِ؟ فَسِّرْهُ لِي**» إن قال لك أنا لا أشرك بالله قل له فسر لي الشرك.

«**فَإِنْ قالَ :هُوَ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ. فَقُلْ له :ومَا عِبَادَةُ الأَصْنَامِ؟ فَسِّرْهَا لِي**» فسر لي عبادة الأصنام؛ إن قال لك عبادة الأصنام : أن يُعتقد في الأصنام أنها تخلق وترزق، قل له لم يكن المشركون الأوَل يعتقدون في الأصنام ذلك، هذا أمر يكذّبه القرآن، وإن قال: عبادة الأصنام هو جعلها واسطة بين العابد وبين الله تقربه إلى الله زلفى، يرجو بركتها، فقل له هذا هو نفس الممارسة التي يمارسها من يعبد الأولياء والصالحين.

«**فَإِنْ قَال :أَنا لا أَعْبُدُ إِلاَّ اللهَ وحده . فَقُلْ :ما مَعْنَى عِبَادَةِ اللهِ وحده لا شريك له؟ فَسِّرْهَا لِي**» فهذه ثلاثة أمور قد يقولها وتطلب منه تفسيرها. وأخطاء هؤلاء وانحرافاتهم مبنية على جهلهم بهذه الحقائق، لا يعرف حقيقة الشرك ، ولا يعرف حقيقة عبادة الأصنام ، ولا يعرف أيضاً حقيقة إخلاص العبادة لله تَبَارَكَ وَتَعالى.

يقول الشيخ: «**فَإِنْ فَسَّرَهَا بِمَا بَيَّنه القرآن فَهُوَ المَطْلُوبُ**» إن فسرها لك يعني هذه الأشياء بما بيَّنه القرآن فهو مطلوب، وماذا تصنع حينئذٍ إن فسرها لك بما بينه القرآن ؟ توضح له أن الحال التي يمارسها تخالف القرآن وتخالف الآيات التي هو استدل بها من القرآن الكريم.

«**وَإِنْ لَمْ يَعْرِفْهُ**» يعني إن لم يعرف هذه الأشياء «**فَكَيْفَ يَدَّعِي شَيْئاً وَهُوَ لاَ يَعْرِفُهُ؟**» وفاقد الشيء لا يعطيه

«**وَإِنْ فَسَّرَ ذلك بِغَيْرِ مَعْنَاهَ بَيَّنْتَه لَهُ**» لاحظ الآن: تلخّص لك أن الخصم إذا قلت "فسره لي" ؛ أي فسر لي الشرك أو فسر لي العبادة أو فسر لي معنى «لا أعبد إلا الله» لا يخلو في تفسيره لها من ثلاث حالات كما بين لك الشيخ:

١. إما أن يفسرها بتفسير صحيح مطابق للقرآن؛ هذا هو المطلوب. إن فسرها تفسيراً صحيحاً مطابقاً للقرآن هذا هو المطلوب ، وحينئذ تُبيّن له أن الحال التي تمارسها تناقض ذلك.
٢. الحالة الثانية: أن يفسر ذلك بغير معناها؛ يعني يفسرها بمعنى آخر، فماذا عليك في هذه الحال؟ قال : بَيّنت له الآيات الواضحات في معنى الشرك وعبادة الأوثان.
٣. والحالة الثالثة: أن يقول لك لا أدري لا أعلم لا أعرف ؛ فأيضاً تبين له وتُعرفه بحقيقة ذلك من خلال الآيات الواضحات.

قال: «**وَإِنْ لَمْ يَعْرِفْهُ فَكَيْفَ يَدَّعِي شَيْئاً وَهُوَ لاَ يَعْرِفُهُ؟ وَإِنْ فَسَّرَ ذلك بِغَيْرِ مَعْنَاهَ بَيَّنْتَ لَهُ الآيَاتِ الوَاضِحَاتِ فِي مَعْنَى الشِّرْكِ بِاللهِ وَعِبادَةِ الأَوْثانِ أَنَّهُ الَّذِي يَفْعَلُونَ فِي هذا الزَّمَانِ بِعَيْنِهِ، وَأَنَّ عِبَادَةَ اللهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ هِيَ الَّتِي يُنْكِرُونَ عَلَيْنَا**» كيف ينكرونها على أهل التوحيد؟ ينكرونها على أهل التوحيد من جهات عديدة: مثلا يقولون ينكرون الشفاعة ، أو ينتقصون الأولياء، أو يقولون لا يعرفون مكانة الصالحين أو جاههم عند الله ، أو غير ذلك من أنواع الكلام الذي يقصدون به التشنيع على أهل الحق.

قال : «**وَأَنَّ عِبَادَةَ اللهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ هِيَ الَّتِي يُنْكِرُونَ عَلَيْنَا وَيصِيحُونَ فيها كَمَا صَاحَ إِخْوَانُهُم حَيْثُ قَالوا: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾** » المشركون الأُول لما قال لهم النبي عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام: ((قولوا لا إله إلا الله تفلحوا))، قالوا: ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾؛ بل بلغ حالهم إلى ما ذكره الله ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾[ص:٦]، وأيضاً يتفاخرون يقولون: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾[الفرقان:٤٢] أي لولا أننا كنا مُتحلِّين بالصبر وإلا كاد ليضلنا عن الآلهة.

قال: يصيحون علينا كما صاح الأولون في إنكار التوحيد؛ ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ هذا إنكار للتوحيد. وأيضاً هؤلاء لما يتعلقون بغير الله من الأولياء والصالحين وغيرهم ويُنكَر عليهم فيصيحون، هذا إنكار للتوحيد ومنافحة ومدافعة عن الشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى.

ونقف إلى هنا .

والله أعلم وصلى الله وسلم على رسول الله.